Çanakkale Onsekiz Mart Üniversitesi
İlahiyat Fakültesi Dergisi
2017, Sayı 10
(Sayfa 157- 173)

مُلاحظات على "اليوميات" في الكتابة التاريخية الإسلامية

جورج مقدسي

ترجمة: أحمد العدوي*

ملخص:

جورج أ. مقدسي *George Abraham Makdisi* (1920- 2002) هو مُستشرق مرموق، أشهر من أن يُعرَّف به**. وقد تُرجم العديد من أعماله إلى اللغة العربية. وحُق لمقاله هذا أن يلحق بما سبق أن تُرجم له من آثاره إلى العربية نظرًا لأهميته. إذ تناول مقدسي في مقاله هذا قضية تدوين "اليوميات" في الكتابة التاريخية الإسلامية. وارتباطها بالتاريخ الحولي وكتابة السير والتراجم.

وقد نشر هذا المقال تحت عنوان: *"The Diary in Islamic Historiography: Some Notes"* بمجلة التاريخ والنظرية *History and Theory، Vol. 25, No. 2 (May, 1986)*، واحتل الصفحات من 173 -185. وهذا المقال يُعد في حقيقة الأمر امتدادًا لتحقيقه ليوميات أبي علي ابن البناء الفقيه الحنبلي (المتوفى 471هـ/1078م) التي نشرها تحت عنوان *"Autograph Diary of an Eleventh-Century Historian of Baghdad"* والتي نشرها بمجلة *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*. موزعةً على خمس حلقات بين عامي 1956 -57.

وإلى جانب نُدرة الموضوع وطرافته فقد برهن مقدسي على أن ظاهرة تدوين اليوميات كانت ظاهرةً عامةً ومُنتشرة بين الطلاب ولا سيما طلاب الحديث والفقه. وقد أضاء مقدسي بمقاله هذا العديد من النقاط الغامضة التي تتعلق بطرق ومناهج علماء المسلمين في النقل والتوثيق والاستشهاد بأعمال غيرهم. كما أماط اللثام عن فحوى تلك العبارات الغامضة التي ترد في المصادر عند التوثيق من قبيل "قرأت بخط فلان" أو "نقلت من خط فلان" دون ذكر عناوين تلك المصنفات. حيث دلَّل مقدسي أن تلك العبارات من هذا القبيل تُشير إلى النقل من "اليوميات الأصلية التي دُونت بخطوط أصحابها". كما بحثَ في هذا المقال علاقة اليوميات بأنماط الكتابة التاريخية الأخرى. وقد أعاد مقدسي جذور اليوميات في الكتابة التاريخية الإسلامية إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. فزعم –حذِرًا ودون أن يتورط بالجزم والتقرير- أن تاريخ الهيثم بن عدي (المتوفى 206هـ/821م) ربما كان أول تاريخ حولي تأسَّس على "اليوميات" مصدرًا مباشرًا له.

***

* Yrd. Doç. Dr. İlahiyat Fakültesi, *Çanakkale Onsekiz Mart Üniversitesi*. (ahmedadawy75@hotmail.com)

** عنه تفصيلًا راجع: نجيب العقيقي، المستشرقون، 3 مج، (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، 3: 186 -89.

مُلاحظات على "اليوميات" في الكتابة التاريخية الإسلامية

تعود أقدم يوميات *Diary* وصلتنا -على صعيد العالم الغربي- لفرنسي مجهول، تلك التي نُشرت تحت عنوان: "دفتر يوميات برجوازي من باريس من 1405 إلى 1449م" *Journal d'un bourgeois de Paris de 1405 a 1449*[1]، أمَّا أقدم يوميات دُونت باللغة الإنجليزية فهي مؤرخة بعام 1442م[2]، ولم يحالفنا الحظ بعد في العثور على يوميات أقدم من تلك المذكورة آنفًا. ويسود الاعتقاد -عمومًا- أن كتابة اليوميات عملية ناتجة عن شعور عال بالفَردية *Individualism* والوعي بالذات*Self-awareness* عند المرء. وهي ظواهر لم تُعرف إلا إبان عصر النهضة *Renaissance* وبعد انتهاء العصور الوسطى. لقد كانت النزعة الفردية في عصر النهضة على النقيض تمامًا من التعصب الطائفي *Communalism* الذي ساد في العصور الوسطى. وكما ذُكر آنفًا فقد كانت الفَردية لازمةً من لوازم كتابة اليوميات الذاتية، ذلك أنها مُتباينة ويمكن تمييزها عن السجلات اليومية العامة[3].

وعلى صعيد العالم الإسلامي، فقد تطورت اليوميات في الإسلام -وفي تناقض صارخ مع الغرب- منذ وقت مبكر للغاية، بل ربما أبكر من أي تاريخ يُعتقد أنه شهد إرهاصاتها. إذ ثم ما يدعو إلى الاعتقاد أنها سَبقت – كما ارتبطت في آن واحد- بثلاثة أنواع من الكتابة التاريخية الأدبية *Historiographical Literature* هي: التأريخ الحولي *Annalistic*، والتراجم *Biographical*، والتأريخ الحولي الجامع لهذين القسمين المنفصلين –أي الحوليات والتراجم- معًا في سِياق أخبار العام نفسه. وستعالج الصفحات التالية "اليوميات" وعلاقتها بهذه الأنماط الأخرى من الكتابة التاريخية *Historiography*.

يوميات ابن البناء

منذ نحو ثلاثة عقود مضت، وإبَّان بحثي عن مصادر مخطوطة دُونت في بغداد في القرن [الخامس الهجري]/الحادي عشر الميلادي، وذلك على خلفية دراستي عن المفكر المسلم ابن عقيل ([431- 513هـ] 1041-1119)[4]، وقعتُ على شذرةٍ من وثيقةٍ تاريخيةٍ تُعالج الحوادث التي وقعت في بغداد لفترة وجيزة، امتدت عبر الربع الثالث من هذا القرن. افتقدت تلك الشذرة الظهرية *Title page*[5]، كما افتقدت أيضًا حرد المتن *Colophon*[6]، وشكلت وحدةً من مجموع *Collectanea* بلغ 158 مجلدًا محفوظًا في المكتبة الوطنية بدمشق "الظاهرية". ووافق ترتيبُ نصِّها الثالث عشر من خمسة عشر نصًّا مختلفًا، ضمَّها بين دفتيه جميعًا المجلد السابع عشر من هذه المجاميع.

---

[1] باريس، (د.ت). والإصدار الفرنسي الأحدث بتحقيق يعقوب ميجريه *Jacques Mègret*. وقد دوَّن هذه اليوميات قِسٌّ مجهول من باريس بين عامي 1405 -1431، ثم واصلها أحدهم بيد أخرى وبخط مغاير وصولًا إلى عام 1449. انظر:

(*Encyclopedia Britannica*, 11th ed. [1910-1911], vol. 8, "Diary" [by Edmund Gossel; cf. EB [19831, "Diary" [anon]).

[2] انظر:

William Mathews, *British Diaries*: *An Annotated Bibliography of British Diaries Written Between 1442-1942* (Berkeley, 1950).

[3] Cf. EB (1968), "*Diary*" (anon.).

[4] انظر:

G. Makdisi, *Ibn ʿAqil et la rèsurgence de l'Islam traditionaliste au XI^e siècle (V^e siècle de l'Hègire)* (Damascus, 1963), 31, 33 n.2.

[5] الظهرية *Title page* هي صفحة العنوان في المخطوطات القديمة، وكان من المعتاد أن يثبت عليها عنوان الكتاب واسم مؤلفه، كما احتوت أحيانًا على معلومات مُهمة تخص تاريخ المخطوط وانتقاله من يد إلى يد. [المترجم].

[6] حردُ المتن *Colophon* وهو أحد خوارج النص الرئيسية في المخطوطات القديمة، وهو نصٌّ كان يأتي -غالبًا- عقب نهاية المتن على هيئة مثلث مقلوب تمييزًا له عن النص الأساسي، ويحتوي عادةً معلومات مهمة تتضمن اسم الناسخ والمكان الذي نُسخ فيه المخطوط وتاريخ النسخ. [المترجم].

وعلى الرغم من خط الكاتب الرديء، فقد وقفتُ على اسم ابن عقيل -على نحو واضح- في مواضع مُتفرقة هنا وهناك في النصف الأول من تلك الشَّذرة البالغة خمس عشرة لوحة[7]. وبمجرد تمكني من فك رموز هذه المقاطع، اتضح لي أن تلك الشذرة تُعالج بعض التفاصيل المبكرة ذات الصلة بقضية شخص مثير للجدل هو ابن عقيل. ففي عام [465هـ/] 1072م، وبعد خمس سنوات من الاستتار من مُطارديه وخصومه، تراجع ابن عقيل أخيرًا ووقع على وثيقةٍ تنكَّر فيها لعلاقته السابقة بالاعتزال *Mu'tazilism*، وهي حركة فلسفية-دينية. كما تاب كذلك عن تبجيله للحلَّاج، ذلك المتصوف الذي طبقت شهرته الآفاق[8] على إثر اتهامه بالزَّندقة ثم صَلبه عام [309هـ]/ 922م.

وفضلًا عن إمدادنا بتفاصيلَ أساسيَّة -ليست متاحة في مكان آخر- فقد كان واضحًا أن أهمية تلك الشذرة تنبع من ذاتها كأقدم نموذج وصلنا للمذكرات الشخصية على الإطلاق. وتتكون تلك الشذرة من ست عشرة لوحة ***folios***. ويرجع تاريخ أول إفاداتها إلى أول شوال من عام 460هـ (= 3 أغسطس 1068م) وآخر إفاداتها مؤرخ بالرابع عشر من ذي القعدة من عام 461هـ (= 4 سبتمبر 1069م). والعُنصر الغالب على محتويات هذه الشَّذرة هو ملاحظات كاتب تلك اليوميات وتجاربه الشخصية. وبخلاف ذلك، فإن مصادر معلوماته بالنسبة لبغداد -وما حولها- تمثَّلت في معارفه الذين كانوا يمدونه بالأخبار طوعًا، أو هؤلاء الذين التمس منهم تزويده بالمعلومات. أما الأخبار الواردة من خارج بغداد وما حولها، مثل فلسطين والجزيرة العربية، فقد تمثلت مصادرها في "رسائل من التجار" على حد تعبيره. وغالبًا ما قدَّم صاحب تلك اليوميات معلوماته في صِيغٍ تُشير إلى مصدر مجهول. كقوله: "بَلَغني...."؛ "ذُكر....."؛ "أخبروني..... ". وعلى الرغم من رداءة الخط بسبب تسرع وإهمال يد كاتب تلك اليوميات، فقد تطلبت أهمية تلك الشذرة العملَ حثيثًا على حلّ رموزها ثم نشرها[9].

ومُنذ نَشرتُ تلك الشّذرة، وصلتُ إلى استنتاج مفاده أن تلك النسخة الأصلية من اليوميات التي دُونت بخط صاحبها ***Autograph*** والتي تعود لابن البناء ([396- 471هـ]/ 1005- 1079م)، لم تكن ظاهرةً فريدةً تخصُّه وحده، بل كانت بالأحرى نتاج ممارسة واسعة الانتشار، ليس فقط إبان حياة ابن البناء في القرن [الخامس الهجري]/الحادي عشر [الميلادي] بل في القرن الذي سَبقه أيضًا، مع أصولٍ خَفيةٍ ومُوغلةٍ في القِدَم. لقد سَاورني الشكُّ في وجود مثل هذه اليوميات على نطاق واسع، خاصةً عندما شرعت في جمع مادة "فصل المصادر" في دراستي عن ابن عقيل وعصره، ولا سيما عندما اطلعت على كتاب تراجم ابن النجار ([643-578هـ]/ 1183- 1245م)، وهو العمل الضخم الذي يضم سِير العُلماء المسلمين، وشخصيات أخرى من النخبة ببغداد، إذ نادرًا ما أهجم ابن النجار عن ذكر مصادره في تراجمه، خصوصًا عند تعرضه لتواريخ الميلاد أو الوفاة لمن ترجم لهم، فما يميزه عن جميع كُتَّاب التراجم الآخرين -ممن اطلعت عن كثب على أعمالهم- كان تواتر ذكره لمصادره التي شكلت النسخ الأصول بخطوط أصحابها ***Autograph*** الجزءَ الأكبر منها، وكذلك معرفته المباشرة بها وبأصحابها، واستعماله لها.

ولفهم أسباب ظاهرة انتشار هذه المصادر الأصول ***Autograph Sources***، فإن شرحًا موجزًا لنقد الحديثِ النبوي من شأنه أن يكُون مُناسبًا هُنا.

---

[7] كذا في الأصل، والصحيح "ست عشرة لوحة"، كما سيقرر مقدسي ذلك لاحقًا في أكثر من موضع. وكما ذَكر في مقدمة تحقيقه لهذا النص المهم. راجِع:

George Makdisi, *Autograph Diary of an Eleventh-Century Historian of Baghdād*, vol. I. in: Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol.18, No. 1 1956, 22. [المترجم].

[8] عن هذا المتصوف العظيم في الإسلام انظر:

Louis Massignon, *La Passion d'al-Hallaj: martyr mystique de l'Islam*, 4 vols. (Paris, 1975); English translation by H. Mason, *The Passion of al-Hallaj*, Bollingen Series XCVIII (Princeton, 1982).

[9] انظر الحاشية 25 أدناه.

مُقتضيات نقد الحديث النبوي[10]

"الحديث" هو سِجِلٌّ أفعال أو أقوال نبي الإسلام [ﷺ] وأصحابه. وهو يتألف من جُزأين: يحتوي الجزء الأول منهما على أسماء الرواة الذين نقلوا الروايةَ كابرًا عن كابر. ويُطلق على هذا الجزء "الإسناد"، وتتلخص وظيفته في دعم مصداقية الرواية. أما الجزء الثاني من الحديث فيتكون من المتن نفسه: أي نص الحديث أو مادة الرواية. و"الحديث"، بمعناه الاصطلاحي الوارد هنا، ربما يُشير إلى روايةٍ واحدةٍ فحسب، أو إلى مجمل الروايات الشفاهية المأخوذة عن النبي [ﷺ]، أو إلى علم الحديث، وهو حقل من حقول العلوم الدينية الإسلامية. فالقرآن الكريم والحديث يُشكلان معًا "الكتاب المقدس" للإسلام[11].

ويتمثل نقدُ الحديث في التأكد من أسماء الرواة وأحوالهم، في سبيل التحقق من الزمان والمكان اللذين عاش هؤلاء الرواة فيهما، وما إذا كان كل منهم على معرفةٍ وثيقةٍ بالآخر، وما إذا كانوا ثقات صَادقين وضَابطين في تحمُّلهم لتلك الأحاديث[12]، وإلى حدٍّ كبير فإن الكتابة التاريخية *Historiography* في الإسلام تدين بوجودها لمقتضيات نقد الحديث النبوى، إذ كانَ تحديد تواريخ الميلاد والوفاة يأتي في الدرجة الأولى من الأهمية عند تقرير معاصرة راوٍ لراوٍ آخر من عدمها.

وقد مسَّت الحاجة إلى المزيد من المعلومات عن هؤلاء الرُّواة، فكلما توسَّع المجتمع الإسلامي، تطورت كتب التراجم لتتناسب طرديًّا مع هذا التوسع. وقد ضمت هذه الكتب، أحيانًا، تراجم تحتوي على معلومات جُزئية عن حياة المترجَم له، وهي المعلومات الأساسية من قبيل: من هو؟ ومتى عاش؟ وأين؟ أما في أفضل أحوالها، فقد سعت لتضمين كل المعلومات الممكنة التي من شأنها أن تُفصح عن حال المترجَم له، وذلك لتقليل احتمالات التدليس أو الخطأ في رواية الحديث. وكان ذلك من خلال تحقيق ما إذا كان هذان الراويان متعاصرين أم لا. وإذا تعاصرا، فكيف التقيا؟ وإذا التقيا، فكيف تحمَّل أحدهما الرواية عن صاحبه؟ وإذا ثبت ذلك فهل كان كلاهما عدلًا ثقةً ضابطًا؟ ... وهلم جرا. ودعت تلك الرغبة في جمع كل المعلومات الممكنة -التي من شأنها أن تعمل على تحديد وضع الشخص في بيئته، وتتبعه في سَكناته وتحركاته، وتسجيل علاقاته بالآخرين من الشيوخ والطلاب والأقران والأصدقاء فضلًا عن كتاباتهم- إلى الاحتفاظ بسجلاتٍ مُؤرخة، أي إلى تدوين اليوميات، مع الحرص على تزويدها بكل التفاصيل التي كان كاتب تلك اليوميات يعتبرها من الأهمية بمكان.

وقد خلُص السِّير هاملتون جب *Sir Hamilton Gibb* في مقالته القيِّمة "أدب التراجم الإسلامية *Islamic Biographical Literature*" إلى نتيجتين مُهمتين: أولاهما، أن "كُتب التراجم مثَّلت إبداعًا أصيلًا وكُليًّا للمجتمع الإسلامي". والثانية: أن "تصنيف معاجم التراجم -باللغة العربية- تطور متزامنًا مع التصنيف في التاريخ"[13]. ومن ثم فإن اليوميات كانت ذلك السجل الذي جمع تواريخ الميلاد والوفاة للرواة، جنبًا إلى جنب مع الحوادث بحسب تواريخ

---

[10] الاصطلاح الذي استخدمه الأستاذ مقدسي هو "*Hadith Criticism*" ومن الواضح أنه يعني به "علم الجرح والتعديل" فحسب من بين علوم الحديث. [المترجم]

[11] حرفيًّا في الأصل: "sacred scripture" ويا لها من مقاربة غربية! [المترجم]

[12] *Shorter Encyclopedia of Islam*, ed. H.A.R. Gibb and J.H. Kramers (Leiden, 1953). "Isnad" "Hadith".
وفي قاموس وبستر الدولي الثالث الجديد *Webster's Third New International Dictionary* عددٌ كبيرٌ من الكلمات العربية مع الشرح الدقيق لها، وانظر أيضًا قاموس اللغة الإنجليزية أكسفورد *Oxford English Dictionary*، حيث شُرحت الكلمات العربية متسلسلةً وفق الحروف الأبجدية العربية. وقد تعامل فؤاد سيزگين F. Sezgin بحكمةٍ بالغةٍ عندما إدرج التاريخ الإسلامي بعد "الحديث" مباشرةً في المجلد الأول من عمله التذكاري "تاريخ التراث العربي" .*Geschichte des arabischen Schrifttums*, 9 vols. (to date), (Leiden, 1967-1984)

[13] *Historians of the Middle East*, ed. B. Lewis and P.M. Holt (London, 1962), 54-58, esp. 54.

وقوعها، فشكلت بذلك المصدر الذي استُمِدَّت منه المادة لكلا النوعين من الكتابة التاريخية: الترجمة *biographical* والتأريخ الحولي *annalistic*.

التاريخُ واليوميات

كان "التأريخ" (أي التوقيت وتحديد التاريخ) هو العُنصر الرئيسي والأكثر أهمية في اليوميات، وكان هذا التاريخ هو اليوم الأول من الشهر القَمري.

وقبل اكتشاف تلك الشذرة من النسخة الأصلية لابن البناء كان يُعْتقدُ أن [القاضي الفاضل] البيساني ([529-596هـ]/ 1135- 1200م) وزير صلاح الدين الأيوبي هو صاحب أقدم يوميات، وكانت الاقتباسات منها[14] توضع تحت عُنوان "مياومات *muyāwamāt*"[15]. وهي لفظة تعني يوميات *diary* أو -بصفة أعم- "الأخبار المتجددات لسنة كذا"[16].

وقد استخدمت كلمة "مُياومات" -بدون شك- بمعنى اليوميات، بيد أنه يبدو لي أنها كانت لفظةً منحوتةً ومُستحدثةً *Neologism* ولم تستخدم في العصور الباكرة لتطور اليوميات، ولم تُستخدم في عصر البيساني نفسه، كما لم تعُد تُستخدم بعد ذلك مُطلقًا[17]. فقد صُنفت يوميات ابن البناء قبل عصر البيساني، وكذلك بعده سواءً بسواء، تحت اصطلاح تأريخ *Ta'rikh*. وهو مصطلح استخدمه في وصفها أربعة من المؤرخين-وكتاب التراجم وهم: ابن الجوزي ([508- 597هـ]/ 1116- 1200م)، وابن النجار ([578- 643هـ]/ 1183- 1245م)، واليافعي ([490- 552هـ]/ 1300- 1372)، وابن رجب [الحنبلي] ([736- 795هـ]/ 1309- 1393)[18].

فقد دأب ابن النجار على الإشارة إلى يوميات ابن البناء ببساطة على أنها "التاريخ"، أو "كتاب التاريخ" أو "الكِتاب". وعند الإشارة إلى أعمال أخرى للكاتب نفسه، كان يُشير إليها بذكر عناوينها، مثل "طبقات الفُقهاء لابن البناء"، وكتاب"مشيخة ابن البناء"[19]. أما عملُ البيساني الذي يتناول "الأخبار من عام كذا" فيبدو أنه لم يكن يوميات بالمعنى

---

[14] الإيماءة هنا لاقتباسات ابن العديم والمقريزي اللذين نقلا عن القاضي الفاضل أنباءًا عدة تحت وصف "مياومات"، أو "الأخبار المتجددات لسنة كذا". انظر: ابن العديم (عُمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي المتوفى 660هـ/1260م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، 6: 2843. قارن: المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المتوفى 845هـ/1442م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى الخطط، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2004)، 1: 272؛ 2: 601. [المترجم].

[15] See F. Rosenthal, *A History of Muslim Historiography* (Leiden, 1952), 152, 2nd ed. (1968), 175.
وكلمة مياومة *Muyawamat*: تُستخدم في العقود بمعنى الدفع يوميًّا، أي الدفع يومًا بيوم، مقارنة بمُشاهرة والمشتقة من كلمة شهر، والتي تعني الدفع شهريًّا، في إشارة إلى الإيجار أو الأجور الشهرية. ومُعاومَة (والمشتقة من كلمة عام) ومُسَانَنة (من كلمة سَنة)، والتي تعني استحقاق الدفع بحلول العام الجديد، وحتى مُساوعة (المشتقة من ساعة)، والتي تعني الدفع بحلول الساعة الجديدة، قارن:
E.W. Lane, *Arabic-English Lexicon*, 8 parts (London, 1863-93), ("snw," "shhr," "iewm," "ywm"). R. Dozy, *Supplement aux diction- aires arabes*, (snw, shhr, ywm). ولاحظ أيضًا أن اصطلاح مُشاهرة كان يستخدم أحيانًا بمعنى الدفع سنويًّا.

[16] عن تلك الألفاظ: مُتجدِّدات، أخبار، حوادث. انظر: Rosenthal, *Muslim Historiography*, 152 and n.5.

[17] الاصطلاح الذي يُستخدم حاليًا -في السَّرد الروائي العربي الحديث- وصفًا لـ"تدوين الحوادث يوميًّا" هو "اليوميات" كما عند توفيق الحكيم في روايته: "يوميات نائب في الأرياف". (ومن ثم فإن "اليوميات" هو الاصطلاح العربي المعاصر والمكافئ لاصطلاح *diary* في العصر الحديث). قارن: Hans Wehr, *A Dictionary of Modern Written Arabi*.

[18] نُشرت أعمال ابن الجوزي، واليافعي، وابن رجب. أما ابن النجار فكل ما وصل إلينا منه شذرة من مجلدين.

[19] كما كان يحرص عند الإشارة إلى الأعمال الأخرى على ذكر عناوينها أيضًا، فعلى سبيل المثال: الفهرست للنديم (مخطوطة دمشق، ورقة 85و)؛ تاريخ الغُرباء القادمين مصر للطحان (مخطوطة باريس ورقة 103ظ)؛ كتاب الفنون لابن عقيل (مخطوطة دمشق ورقة 2ظ)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (نفسه، ورقة 104ظ)، التذكرة لابن حمدون (نفسه، ورقة 111ظ).... الخ.

الحرفي، وإنما كان تاريخًا حوليًّا، وربما يصح أنه تأسَّس على اليوميات، وعلى الأرجح كانت تلك اليوميات تخص البيساني نفسه، إلا أنه ركز في عرض مادته على السنة وحدةَ تأريخٍ عالمية، ولم تكن قط مُرتبة على أساسٍ شَهري.

أمَّا أكثر الأمور إثارة للدهشة فهي تلك المصادر التي يذكرها ابن النجار على أنها كتابات أصلية دُوِّنت بخطوط أصحابها ***Autograph works***. وهو يذكرها بإحدى الطرق الأربعة الآتية: (1) "ذَكر فلان في تاريخه، ونقلته من خطه". (2) "قرأتُ في كتاب التاريخ لفلان بخطه". (3) "قرأت في كتاب فلان بخطه". (4) "قرأت بخط فلان"[20]. وفيما عدا ذلك فإن ابن النجار حرص على ذكر عنوان الكتاب. ومن ثم فليس لليوميات الأصلية ***Autograph diaries*** عنوان إلا كلمة "تأريخ" التي استعملت للإشارة إليها.

ومن الواضح أن المعرفة المباشرة بالعمل الأصلي ***Autograph work*** للراوي - كونه مُعاصرًا للحدث ذي الصلة- حلَّ في المرتبة الثانية بعد الرواية الشفوية المأخوذة من فم الراوي نفسه. وعلى سبيل المثال، ففيما يتعلق بتاريخ ميلاد المترجَم له، فإن أفضل رواية في هذا الصَّدد كانت رواية المترجَم له نفسه لراوٍ آخر مُعاصر له، ومن ثم شفويًّا إلى الكاتب. ثم تليها في المرتبة تلك الرواية التي كان الكاتبُ يقرأها بخط يد الراوي.

وفي قائمة تتكون من خمسة وثلاثين مصدرًا دعاها ابن النجار بـ"التأريخ"، أو "كتاب التأريخ"، "الكتاب"، أو ببساطة بـ"خطه" (أي بخط المصنِّف)، كان المُترجَم له المذكور في المصدر مُعاصرًا للمؤلف. وهذه المصادر التي جاءت دون ذكر عناوينها، هي التي سبقت الإشارة إليها مرةً تلو الأخرى بواحدة من الطرق الأربعة المذكورة آنفًا، كانت إمَّا يوميات أو حوليات (ضمت حوادث العام، مَتبُوعةً بوفيات العام) اعتمدت في تناولها للحوادث المعاصرة على اليوميات.

واستخدم ابن الجوزي ([508- 597هـ]/ 1116 -1200م) في تأريخه الحولي المسمى المنتظَم [في تاريخ الملوك والأمم]، يوميات ابن البناء على امتداد السنوات من 460هـ[21](11 نوفمبر 1067م إلى 30 أكتوبر 1068م) إلى 470هـ[22] (25 يوليو 1077م إلى 13 يوليو 1078م). وثَمَّ خبرٌ واحدٌ لهذا العام الأخير مُتعلق بوصية عُهد بتنفيذها للتاجر الحنبلي الثري ابن جَرْدَة. نقلها ابن البناء بنصِّها في يومياته، وعنه نقلها ابن الجوزي جزئيًّا في كتابه المنتظم. وعندما هَمَّ ابن الجوزي بالنقل من يوميات ابن البناء، قدَّم بين يدي اقتباسه بهذه الكلمات: "قرأتُ بخطِّ أبي علي ابن البنَّاء، قال: ..."[23]. ومن ثم فإن العنصر الجوهري الآخر الذي يُميز اليوميات -بعد تحديد التاريخ بدقة- يكمن في أن الشهادة بخط يد صاحبها، هي أفضل مادة تأتي في الرُّتبة بعقب الرواية الشفوية المأخوذة من فم شهود العيان.

والسُّؤال الآن هو لماذا كان اصطلاح "التأريخ "***ta'rikh***"، الذي يُكافِيء في المعنى اصطلاح ***History*** عامةً، يستخدم وصفًا لليوميات؟ يُشتق اصطلاح "تأريخ" من جذر مشترك في اللغات السامية. فالفعل العَربي (أرخ/ورَّخ) يعطي معنى "تحديد الشَّهر"، "تحديد زمن الحدث"، وكما اقتُرح من قبل فإنّ "ثمة شعورًا غامضًا بأن لتلك الكلمة علاقة ما بتحديد غُرة الشهر[24]. وتؤيد يوميات ابن البناء هذا الرأي على نحو كامل، فقد كان ابن البناء حريصًا على تحديد غُرة كل

---

[20] تجدر الإشارة هنا إلى أنني لم أطلع على مخطوطتي "ذيل تاريخ بغداد" لابن النجار -سواء نسخة المكتبة الوطنية بباريس أو نسخة الظاهرية بدمشق- اللتين اعتمد عليهما الأستاذ مقدسي في هذا المقال. وعليه فالاقتباسات النصية المنسوبة لابن النجار أعلاه إنما هي ترجمتي لنص مقدسي الإنجليزي. فليتنبه. [المترجم]

[21] يوم السبت 15 جمادى الأولى 26 مارس 1068م. والأحد 7 جمادى الثانية 13 أبريل 1068، والثلاثاء [9] ذو القعدة/ 8 سبتمبر 1068م.

[22] في معرض حديثه عن وفاة الشريف أبي جعفر، في 15 صفر/ الخميس 7 سبتمبر من عام 1077.

[23] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 6 أجزاء، (من الجزء الخامس إلى العاشر)، تحقيق كرنكو Krenkow (حيد آباد-الدكن، 1938-40)، 8: 248-250، 316-317.

[24] انظر مقال م. بليسنر M. Plessner في دائرة المعارف الإسلامية ***Encyclopedia of Islam***، الطبعة الأولى، ملحق عام 1934، 230، استدراكات على مادة "تاريخ".

شهر قمري وفقًا لرؤية الهلال الجديد. وفعل هذا حتى عندما لم يكن لديه شيء ليُسجله في أول يوم من أيام هذا الشهر الجديد. فقد سمَّى الشهر، وسمَّى اليوم الذي وافق غُرة هذا الشهر، وبعد انتهاء الشهر الثاني عشر من السنة، عرض العام الجديد من حيث موقعه من سِني الهجرة، فذكر اسم الشهر الأول من العام الجديد، واليوم الذي وافق غُرة الشهر الجديد. وتحديد غُرة الشهر هو التأريخ الوحيد الذي يظهر في اليوميات دون ضرورة أن يتبع ذلك تسجيلُ حدثٍ آخر سواه.

ومن ثم فإن كلمة "تأريخ" كانت تستخدم علمًا على سجل الحوادث على التواريخ التي تم تعيينها. وإذا كُنَّا بصدد استخدام يوميات ابن البناء أنموذجًا، فإن التاريخ الأكثر أهمية في تلك اليوميات، وعليه مدار اعتماد جميع ما ورد فيها، كان غُرة كل شهر قمري. ولم يُهمل كاتبُ اليوميات -أبدًا- وعن وعي وإدراك تعيين ذلك التاريخ. بيد أنه نسي أن يُسجل ذلك في موضعين، استدرك على نفسه في أحدهما بتدوين ذلك التاريخ في الحاشية ***Margin***. لقد فعل ذلك لأنه بدون أن يُعين غُرة الشهر بدقة، فلا يمكن الاعتماد على اليوميات سجلًا دقيقًا للحوادث اليومية.

دُونت اليوميات الإسلامية وفقًا للأشهر القمرية. والتاريخ المعين في غضُون الشهر لا يدع مجالًا للشك إذا تم تحديد غُرة الشهر على نحو دقيق. وتحدد الشَّذرة -التي بين أيدينا- من يوميات ابن البناء غُرر أربعة عشر شهرًا قمريًّا. الثلاثة الأُول منها تعود إلى عام 460هـ[/1068م]، وباقيها لسنة 461هـ[/1069م]، وذلك على النحو التالي[25]:

1- الأحد غُرة شوال (460هـ/ 3أغسطس 1068م) فقرة 1.

2- الثلاثاء غرة ذي القعدة (460هـ/2 سبتمبر 1068) ف. 13؛ في الحاشية ***Margin***.

3- الأربعاء غُرة ذي الحجة (1/460 أكتوبر 1068م). (سقط تسجيله سهوًا. وكان يجب أن يُثبت بين فقرتي 23 / 24).

(4) الجمعة، غرة محرم (461هـ/31 أكتوبر 1068م) (ف. 36).

(5) الأحد غرة صفر (461هـ/30 نوفمبر 1068م) (ف. 50).

(6) الإثنين، غرة ربيع الأول (461هـ/29 ديسمبر 1068م) (ف. 64).

(7) الأربعاء غرة ربيع الثاني (461هـ/28 يناير 1069م) (ف. 83).

(8) الخميس غرة جمادى الأولى (461هـ/ 26 فبراير 1069م) (ف. 105).

(9) الجمعة، غرة جمادى الآخرة (461هـ/27 مارس 1069م) (ف. 123).

(10) الأحد، غرة رجب (461هـ/26 أبريل 1069م) (ف. 135).

(11) الإثنين، غرة شعبان (461هـ/25 مايو 1069) (ف. 151).

(12) الثلاثاء، غرة رمضان (461هـ/23 يونيو 1069م) (ف. 159).

(13) الخميس، غرة شوال (461هـ/23 يوليو 1069م) (ف. 168).

(14) السبت، غرة ذي القعدة (461هـ/22 أغسطس 1069م) (ف. 174).

وقد اعتاد الكاتب تأريخ الحوادث بدقة في كل شهر. بيد أنه أورد في نهاية كل شهر بعض الحوادث (ولسبب أو لآخر، لم يقم بتحديد تواريخ وقوعها باليوم خلال الشهر)، وقد حرص على دمجها معًا تحت عنوان "وفي هذه الأيام". أي "في أيام ذلك الشهر المذكور". ولم يكن مصطلح "التأريخ" يستخدم بمعنى اليوميات فحسب، ولكن الفعل "أرَّخ" (وتُشتق

---

[25] انظر:

G. Makdisi, "*Autograph Diary of an Eleventh-Century Historian of Baghdad*" [Introduction, Arabic text, English translation and notes]. Bulletin of the School of Oriental and African Studies 18 (1956), 9-31, 239-260 (1-49), 19 (1957), 13-48 (50-104), 281-303, (105-150), 426-443 (151-185).

منه كلمة "التأريخ" بصيغة المصدر) كان يستخدم بمعنى"تدوين اليوميات". فيذكر ابن الجوزي، في ترجمته للذُّهْلي[26] ([430-507هـ]/ 1038- 1113م) ما نصه: "وشرع في تتمة تاريخ بغداد (وهو عمل من تصنيف الخطيب البغدادي ([392-463هـ]/ 1002- 1071)م)، ثم غَسَل (غسل الصفحات يعني أعادها صورتها الأولى بيضاء، أي محَا عمله تمامًا) ذلك قبل موته بعد أن أرَّخ بعد الخطيب إلى قبل وفاته"[27]. وقد توفي الخطيب [البغدادي] الذي داوم على تدوين تراجمه للشخصيات البارزة من النخبة، إلى قُرب نهاية تلك السنة التي توفي فيها عام 463هـ/1071م[28]. وكان الذُّهْلي في الثالثة والثلاثين من عُمره آنذاك، وقد داوم على تدوين يومياته التي كانت بمثابة الأساس لكتاب تراجمه. ثم غسل صفحات كتاب تراجمه، بيد أنه حافظ على يومياته دون مسَاس، وذلك لأننا سنجد ابن النجار يعتمد عليها لاحقًا ذيلًا على تاريخ الخطيب [البغدادي][29] في المجلدين اللذين سلما من عوادي الدهر من عمله، فابن النجار يستعين بيوميات (= تاريخ) الذُّهْلي التي تغطي فترة تزيد على ثلاثة عقود. إذ إن أقدم تاريخ يذكرها فيه هو عام 459هـ، وهو العام الذي يبدأ في 22 نوفمبر عام 1100م وينتهي في 25 أكتوبر من عام 1101م. ويبين أقدم تاريخ أن الذُّهلي شَرع في تدوين يومياته على الأقل وهو بعد في التاسعة والعشرين من عمره (وهو وقت يتَّسِق مع طالب بدأ لتوه التخصص في علوم الحديث)، أي قبل وفاة الخطيب [البغدادي] بأربع سنوات فحسب. ثم دمر -في الأخير- كتاب تراجمه الذي كان من المفترض أن يكون ذيلًا لعمل الخطيب [البغدادي].

لم يكن كتاب تراجم الذُّهْلي الذَّيل الوحيد على تراجم الخطيب [البغدادي][30]. فقد ذيَّل عدد من الأشخاص عليه، من بينهم شخص مُعاصر للذُّهلي، وهو السَّقطي[31] ([445- 509هـ]/ 1053- 1115م). فابن النجار يستعين به مصدرًا لترجمة أحدهم الذي توفي عام [483هـ/] 1089م[32]. وقد يكون ذلك المصدر هُنا هو كتاب تراجم السَّقطي، أو ربما كان يوميات السقطي نفسها.

التأريخ والتعليق

إذا كان "التأريخ" وظيفةً أساسيةً لطالب الحديث، فقد كان "التعليقُ" وظيفةً أساسيةً لطالب الفقه. كان نشاط التأريخ (= التوقيت) نظيرًا لنشاط "التعليق" (= التقرير أو الإفادة)، في التعليم بالنسبة للمستوى المتقدم لطالب الحديث وطالب الفقه تباعًا[33]. فطلاب الفقه "يُعلِّقُون" أي: يدوِّنُون التقارير، ويسجلون ملاحظاتهم التي يستقونها سواء من دروسهم على أيدي شيوخهم في الفقه، أو من خلال المناقشات حول المسائل الفقهية في الحلقات الدِّراسية، أو عبر الاجتماعات المنتظمة للفُقهاء المشهود لهم للمناظرة، أو من خلال قراءة الطالب الموسَّعة في الأعمال الفقهية أيضًا.

---

[26] الإيماءة هنا إلى أبي غالب ثُجاع بن أبي ثُجاع الذُّهلي. [المترجم]

[27] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 9: 176 (أسطر 13-14) حيث قال ما نصه: "بعد أن أرخ بعض الكتاب".

[28] انظر: Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 31, 33 n.2.

[29] انظر: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بدمشق (الظاهرية) ورقات: 3و، 36و، 163ظ، 175ظ. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، Fonds arabe 2131، ورقات: 18و، 19ظ، 41و، 47و، 54ظ، 143و.

[30] قارن: Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 31 ff

[31] الإيماءة هنا إلى أبي البركات هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي بن يوسف السَّقطي. [المترجم]

[32] ابن النجار، الذيل، مخطوطة باريس 1231، ورقة 40ظ، 41و؛ وعن تراجم السَّقطي انظر: ابن رجب [الحنبلي]، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، 2 مجلد، القاهرة 1953، 1: 141، سطر 6.

[33] عن ألفاظ: التعليق-الفوائد-الأخبار في التعليم الشرعي في العصور الوسطى انظر:

G. Makdisi, *The Rise of Colleges: Institutions of Learning in Islam and the West* (Edinburgh, 1981), ll ff., and 243 ff., and the index, 375, taeliq and ta'liqa. والكشاف ص 375 مادة "تعليق وتعاليق"

وفي المقابل، فإن "التأريخ"، بمعنى تدوين اليوميات، كان وظيفةً أساسيةً لطلاب الحديث. فقد احتفظ الطالب بملاحظاته التي سجَّلها يومًا بعد يوم، أو في كثيرٍ من الأحيان خلال الشهر، مُتضمنةً تلك المعلومات المستخدمة في مجال علم الحديث، ودراسته ونقده، سواء تلك التي جمعها في مدينته أو عبر رحلاته إلى المدن المختلفة في العالم الإسلامي. ولم يكن الطالب المتخصص في دراسة الحديث مُهتمًا بجمع الأحاديث الصَّحيحة فحسب، وإنما اهتم أيضًا بالحصُول على أوسع قدرٍ ممكن من المعرفة برواة الحديث، جنبًا إلى جنب مع تواريخ ميلادهم ووفياتهم، إضافةً إلى أكبر كَمٍّ ممكن من المعلومات عن مسار حياتهم المهنية. ولذا فمن المفهوم تمامًا كيف تطورت تلك التَّعاليق والفَوائد، بمرور الوقت، إلى صيغة اليوميات التي استمر بعضهم مداومًا على تدوينها حتى بعد أن أصبح عالمًا مُتمكِّنًا. ونتضح هذه الوظيفة بجلاء في تلك الشذرات من يوميات ابن البناء، وفي العديد من اليوميات التي كانت بمثابة مصَادر لابن النجار في تراجمه[34].

وقبل وصول الطالب إلى مرحلة رواية الحديث أو "أوان الرواية"، فقد كان من المتوقع أن يحوز بعض طُلاب الحديث المتقدمين سجلاتٍ واسعةً؛ لتساعدهم في دراسة الحديث، من حيث جمع الأحاديث الصحيحة من قبل أكبر عدد ممكن من الشيوخ، وتسجيل ما يعرض لهم في أسفارهم، وكذلك لغرض تجميع قائمة بأسماء شيوخهم الذين أخذوا عنهم الحديث، وهي القائمة التي كثيرًا ما كانت تُنْشَر لاحقًا[35].

وهناك عبارة تتكرر كثيرًا في تَراجم علماء الحديث، ألا وهي: "كتب الكثير بخطه". وتهدف هذه العبارة -الزائدة على ما يبدو- إلى مجرد التأكيد على حقيقةِ أن مادة هذا المحدث ليست مما جمعه المؤلفون الآخرون التي يمكن الحصول عليها عن طريق الشراء أو الإعارة أو النَّسْخ. وإنما جاءت نتاجَ مجمُوعات صاحبها خَاصةً وسُجِّلَت بخط يده.

ولدينا مثالان يوضحان حالتي طالبين مُتخصِّصين في الحديث قِيل إنه كان لديهما سجلٌّ واسع، بيد أنهما توفيا "قبل أوان الرواية"، أي: قبل إجازتهما من قبل شيوخهما المؤهلين. الأول هو هزارسب الهروي (المتوفى 515هـ/1121م)، والثاني هو ابن شافع الجيلي ([520- 564هـ] 1126- 1169م). بالنسبة للأول، قال ابن الجوزي إنه "كتب الكثير، وأفاد الطلبة من الغُرباء والحاضرين، وكان ثقةً من أهل السنة خَيِّرًا، واخترمته المنية قبل أوان الرواية"[36]. بيد أن هزارسب ترك ما يبدو أنه يومياته. فقد نقل ابن النجار عنه في إحدى تراجمه: "قرأتُ في كتاب هزارسب الهروي بخط يده..." ثم يلي ذلك ترجمة أحدهم الذي توفي في عام 493هـ/1100م[37]. ولا يُمكننا الوقوف على عُمر هزارسب عند وفاته، حيث باغتته المنية بينما لم يزل يتقدم في دراسة الحديث، ولم يكن أوان روايته قد حان بعد. ولكن كان لديه كتاب تراجم يضم معلومات عن رواة الحديث.

أما الحالة الثانية فقد كانت أكثر تنويرًا؛ لأنه اجتمع لديّ فيها تاريخ الميلاد جنبًا إلى جنب مع تاريخ الوفاة. فبالنسبة لابن شافع الجيلي يقول ابن رجب [الحنبلي]: "وكتبَ بخطه الكثير، وحصَّل الأصول الحسان، ولم يحدِّث إلا باليسير؛ لأنه مات قبل أوان الرواية"[38]. لقد كان الجيلي في الخامسة والأربعين عندما توفي، ولم يكن شابًّا صغيرًا على وجه التحقيق؛ بيد أن الخبرة بعلوم الحديث كانت تتطلب سنوات طويلة من الدراسة، إضافة إلى تدوين سجلات واسعة وجمع الجم الوافر. وعلى أية حال فقد كان معروفًا -أي الجيلي- على أنه "مُفيد بغداد" في الحديث. ولا يزال في جُعبتنا ما نقوله عنه لاحقًا.

---

[34] لقائمة تضم أسماء هذه المصادر انظر: Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 40 ff. مع مُلاحظة أن هذه القائمة ليست شاملة.

[35] الإيماءة ها هنا إلى كتب البرامج وفهارس الشيوخ والمشيخات. [المترجم]

[36] انظر: المنتظم، 9: 231.

[37] ابن النجار، ذيل، مخطوط دمشق، ورقة 53 وجه.

[38] ابن رجب [الحنبلي]، ذيل، (تحقيق الفقي)، 1: 312.

تعريف السَّخاوي للتاريخ

إن الفهم السابق لمصطلح "التأريخ" بوصفه سيرًا وتراجمَ بالدرجة الأولى، وبوصفه حوليات أيضًا تتعلق بحوادث وأشخاص -[هذا الفهم]- يدعمُه تعريفُ السخاوي لهذه الكلمة[39]:

فالتأريخ -كمُصطلح فني- هو:

> "التعريف بالوقت الذي تُضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاةٍ وصحةٍ وعقلٍ وبدنٍ، ورحلةٍ وحجٍ، وحفظٍ وضبطٍ وتوثيقٍ وتجريحٍ، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم.
>
> ويلتحقُ به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة ووزير، وغزوة وملحمة وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من مُتغلبٍ عليه، وانتقال دولة. وربما يُتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة ومقدماتها".
>
> ويمكن أيضًا أن يمتد بعد ذلك إلى مسائل مما يأتي دونها: "كبناء جامع أو مدرسة أو قنطرة أو رصيف، أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مُشاهد، أو خفي سماوي كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان، وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام. والحاصل إنه [أي مصطلح "التأريخ"] فن يُبحث فيه وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت".

أي إن هذا الفن يتعلق بكل ما كان وما هو كائن في العالم[40].

التأريخُ والحوليات

قد يؤخذ تعريف السخاوي ([831- 902هـ]/ 1427- 1497م) للتاريخ على أنه توصيف لما كان يجرى تدوينه في اليوميات، بالإضافة إلى هذين النوعين من الكتابة التاريخية *Historiography* اللذين خدمتهما اليوميات بوصفها مصدرًا لهما: أي التراجم والحوليات. فالتعريف ينسحبُ تمامًا على: (أ) اليوميات، (ب) كتب التراجم على اختلاف أنواعها، (ج) التأريخ الحولي، (د) التأريخ الحولي الجامع لـ"تأريخ الوقائع *histoire èvènementielle*، أولًا، ثم التراجم تاليًا. وإلى هذا النوع الأخير ينتمي تاريخ فقيه بغداد ومؤرخها المرموق [ابن جرير] الطبري ([224- 310هـ]/ 839- 923م)[41]، وكذلك تاريخ ابن الجوزي ([508- 597هـ]/ 1116- 1200م)، وكذا تواريخ جميع من ذيَّل عليهما.

وفي سبيل التمييز بين الحوادث المؤرخة التي سُجّلت ودُوِّنت في اليوم نفسه، وتلك الحوادث التي سُجلت بعد وقت طويل من وقوعها، مسَّت الحاجة لاصطلاح جديد من شأنه أن يُميز بين اليوميات والحوليات. والحق أن مصطلح التاريخ

---

[39] أوردت في هذا الموضع نصَّ السخاوي حرفيًّا بين علامتي التنصيص بدلًا من ترجمة جب Gibb الإنجليزية لنص السَّخاوي أو تنقيح روزنثال Rosenthal لها الذي تصرَّف فيه مقدسي تصرُّفًا يسيرًا كما سينوه في الحاشية التالية. انظر: فرانز روزنثال، السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى 902هـ/1497م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة صالح أحمد العلي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986)، 18- 19. [المترجم]

[40] السخاوي، الإعلان. في:

Muslim Historiography, 204-205; see also Sir Hamilton Gibb, "*Islamic Biographical Literature*," in *Historians of the Middle East*, 55.

حيث قام جب Gibb بترجمة هذه الفقرة للسخاوي جُزئيًّا وبتصرف، ونصها لا يختلف كثيرًا عن نص روزنثال. كذلك، فإن ترجمة نص السخاوي العربي المذكور أعلاه ليست مختلفة إلا قليلًا عن ترجمة روزنثال.

[41] Sezgin, Geschichte, I, 323ff.

كان يُطلق عمومًا -وعلى نحو مشوَّش- على هذين النوعين من الكتابة التاريخية. ولكن على الأقل في بواكير القرن [الرابع الهجري/] العاشر الميلادي، أو ربما في النصف الأول من القرن [الثالث الهجري/] التاسع الميلادي، أو ربما في أواخر القرن [الثاني الهجري/] الثامن الميلادي، فقد أُضيف اصطلاح مُكمِّل لاصطلاح "التأريخ" في سبيل إحداث ذلك التمييز المنشود. فعُرف اصطلاح الحوليات على أنه "تأريخٌ على السنين"، وكان على النقيض تمامًا من اليوميات، إذ يعني تسجيل الحوادث التي أُرخت على السنوات. وأقدم عمل معروف من هذا النوع، هو كتاب "التاريخ على السِّنين" للهيثم بن عدي ([حوالي 130- 206هـ/] 747- 821م)[42] وهذا العمل مفقود. وأقدم إشارة وصلتنا عنه تعود لمحمد بن إسحاق النديم الذي دوَّن فهرسته نحو عام 375هـ/985-86م[43]. وإذا لم يكن النَّديم قد أطلق من عنده ذلك المصطلح -على نحو لا يُناسب عصر الهيثم بن عدي- ليصفَ عمله، فإن هذا المصطلح نفسه ربما استخدم مبكرًا في عصر الهيثم نفسه في القرنين [الثاني أو الثالث الهجريين/] الثامن أو التاسع الميلاديين. وعلى أية حال، فيمكن القول -باطمئنان- إن استخدام مصطلح "التأريخ" كان سابقًا لتلك التكملة "على السنين"، أي "سنةً بعد سنة".

وعادة ما تكون أنواع "التراجم" و"الحوليات" في الكتابة التاريخية مُتباينة، ويتجلى ذلك من عناوينها. فعلى سبيل المثال: عندما تقترن كلمة تاريخ باسم مدينة ما (مثلًا: "تاريخ بغداد")، فهو معجم لتراجم العلماء وغيرهم من الشخصيات البارزة في تلك المدينة، بما في ذلك الغُرباء عنها الذين زاروها واستقروا بها لفترات طالت أو قصرت من الزمن. والطبقات، وتواريخ المدن، والتراجم على القرون (أي: المئويات ***Centennials*** وهي كتب التراجم التي تغطي تراجم أعلام قرن بعينه من الزمان) هي أيضًا أعمال في تراجم العلماء في حقل أو آخر من حقول التخصص: كعلوم القرآن، أو الحديث أو النحو أو الأدب أو الفقه. وهناك مجالات أخرى مُثِّلت بدرجة أقل (مثل الفلاسفة والأطباء والحكماء).

ومما لا شك فيه أن كُتب التراجم استفادت من اليوميات مصدرًا لها. لكن اليوميات اشتملت على مادة حولية إضافةً إلى التراجم، كما يتضح في يوميات ابن البناء، وفي الاقتباسات التي وصلتنا من اليوميات الأخرى. و"التأريخ على السنين" يُعيد ترتيب بيانات اليوميات "وفقًا للسنوات"، وليس وفقًا للأشهر التي تم تحديد غُرتها. وأقدم عمل وصلنا من هذا النوع هو كتاب "المنتظَم" لابن الجوزي، والذي قسَّم تلك البيانات اليومية ***diarial data*** إلى قسمين متميزين: الأول يخص حوادث العام، والثاني تراجم وفيات هذا العام نفسه. وكلما رتب ابن الجوزي حوادثه على الشهور في غضُون السنوات، افتضح ببساطة أمر اعتماده على اليوميات مصدرًا مباشرًا، سواء أكانت تلك اليوميات تخُصُّه أو تخص كُتَّابًا آخرين.

وتسبقُ العديد من الأعمال -من هذا النوع- كتاب المنتظم. فقد كان ابن الجوزي مجرد مُستخدِم لصياغة كانت سائدة بالفعل في عصره. فهذا النوع من الحوليات في الكتابة التاريخية بقسميه المتميزين، يبدو تطورًا لليوميات. والمعلومات التي تقدمها اليوميات بقسميها -وهي التي يتم علاجها يومًا بعد يوم على النحو الذي حدثت به خلال الشهر- تبدو وقد أُعيد ترتيبها إلى قسمين مُنفصلين تحت حوادث العام. والتراجم التي تحتل القسم الثاني قد تأتي مُسهبةً أو مختصرةً وفقًا لميول الكاتب؛ فهي أكثر تفصيلًا في المنتظم لابن الجوزي منها في تاريخ الطبري أو نظيره الشامي ابن الأثير ([555- 630هـ]/ 1160- 1233م) على سبيل المثال.

ويسود الاعتقاد -حتى يومنا هذا- أن كتاب "المنتظَم" لابن الجوزي كان الأول من نوعه [أي في فصل الحوادث عن الوفيات]. وهو في الحقيقة يمثل كسرًا في خط تطور الكتابة التاريخية يستطيع المرء رؤيته في تاريخ الطبري ([224- 310هـ]/ 839- 923م) وتاريخ ابن الأثير ([555- 630هـ]/ 1160- 1233م). إذ لا علم لنا بالأعمال التي سبقت

[42] Sezgin, *Geschichte*, I, 323n.l.

[43] النديم، الفهرست، (القاهرة، 1348هـ/1929م)، 146، سطر 9. وانظر أيضا: Sezgin, *Geschichte*, I, 323n., 272.

"مُنتظَم" ابن الجوزي ([508- 597هـ]/ 1116- 1200م) ذلك أنها لم تسلم من عوادي الزمن ففُقدت. وعلى الرغم من فُقدانها، فإنها قد تصنَّف بوضوح على أنها حوليات وتراجم، وذلك من خلال الاقتباسات التي وصلتنا منها في المصنَّفات المتاحة لنا، كما سيتبين في الصفحات التالية. وقد استخدم في تصنيفها مصطلح "تأريخ"، أو "تأريخ على السنين". ووصف البعض منها بكلا المصطلحين على التبادل.

أربعة قرون من التصنيف التاريخي في بغداد

يُرشح القِفطي ([568- 646هـ/] 1172- 1248م) -في ترجمته للطبيب والمؤرخ ثابت بن سنان[44] في معجم تراجمه للأطباء- قائمةً من الأعمال التاريخية لأولئك الذين يرغبون في قراءة التاريخ مُستمرًّا ومتَّصِلًا إلى عام 616هـ (1219- 1220م)[45]. تبدأ تلك القائمة بالطبري وتنتهي بالقادِسي. ويُكرر حاجي خليفة ([1017- 1068هـ/] 1609- 1657م) في معجمه البيليوجرافي المسمى "كشف الظنون" تلك القائمة بادئًا بثابت بن سنان، ومُهملًا الطبري وكذلك بعض المؤرخين الثانويين الذين تزامنت مصنفاتهم مع مصنفات المؤرخين الرئيسيين في تلك القائمة. وقد جاء المؤرخون الرئيسيون على النحو التالي: الطبري، ثابت بن سنان، هلال [بن المحسِّن] الصَّابئ، [غرسُ النعمة] ابن هلال الصَّابيء، الهمذاني، الزاغوني، صدقة بن الحسين، ابن الجوزي، القادسي. وقد استعان ابن النجار في كتاب تراجمه الذي لم يصلنا منه سوى شذرة في مجلدين، بكل هؤلاء المؤرخين مصادرَ له باستثناء الاسم الأول "الطبري".

صنَّف ثابت بن سنان (المتوفى [365هـ/] 975م) كتابًا في التاريخ قيل في بدايته أقوال، فقيل يبدأ تاريخه بعام 290هـ/903م، كما قيل يبدأ من 295هـ/907م. وقيل إنه ينتهي بحوادث عام 360 هـ/971م[46] [47]. ويبدو أن هذا العمل ضم الحوليات والتراجم معًا، وإذا شاء المرء أن يحكم عن طريق اقتباسات ابن الجوزي -في كتابه المنتظم- من تاريخ "ثابت"، فإن الاقتباس الأول وقع في حوادث شهر ربيع الأول، عام 296هـ (نوفمبر- ديسمبر، 908م)، أما الأخير فمؤرخ بسنة 352هـ/963م، وهو يستعين بتاريخ "ثابت" مصدرًا للحوادث والعجائب والتراجم[48]. بينما يستعين ابن النجار بتاريخ "ثابت" في تاريخ وفاة أحد المترجم لهم، إذ استقى منه التاريخ بدقة، "يوم الخميس، في 23 من شهر محرم، عام 358 هـ [17 ديسمبر 968]، في شيراز"[49].

استعان ابن الجوزي أيضًا بتاريخ هلال [بن المحسِّن] الصَّابئ ([359- 448هـ/] 969- 1056م)، ابن أخت ثابت، مصدرًا للحوادث التاريخية فضلًا عن استخدامه مصدرًا للتراجم[50]. كما استخدم ابن النجار تاريخ هلال في نسخة أُم بخط مؤلفها *Autograph* ونقل عنه بعض التراجم حرفيًا، على امتداد السنوات التالية: 361هـ[51]، 363هـ[52]، 368 هـ[53]، 391هـ[54]، 402 هـ[55]، 423هـ[56]، 442هـ[57].

---

[44] تاريخ الحكماء، تحقيق ج. ليبرت J. Lippert، ليبتسج Leipzig، 1903، 110.

[45] Rosenthal, *Muslim Historiography*, 72-73; cf. Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 14-15 ("La liste des chroniqueurs selon al-Qifti").

[46] See Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 15, n.3; وهذه القائمة نفسها عند سزگين انظر: Sezgin, *Geschichte*, I, 327.

[47] يبدأ تاريخ ثابت بن سنان من عام 295هـ/907م وينتهي إلى سلخ شوال من عام 365هـ/975م. علمًا بأن ثابت توفي في الحادي عشر من ذي القعدة عام 365هـ/975م. تفصيلًا انظر: [المترجم]

[48] ابن الجوزي، المنتظم، 6: 80-89-172-215، 7: 16.

[49] ابن النجار، ذيل، مخطوطة باريس، 2131، ورقة 142ظ.

[50] ابن الجوزي، المنتظم، 7: 20 (حوادث 353هـ)، 28 (ترجمة الشاعر المتنبي)، 77 (في ترجمة أحدهم المؤرخة بعام 364هـ)، 149 (في شأن رؤية امرأة للنبي في منامها)، أما بالنسبة لهلال فانظر:

C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, 2nd edn., 2 vols. (Leiden, 1943-9, 3 *supplements*, 1937, 42) 1: 323-324, *Suppl*. I, 556-557; Makdisi, *Ibn ʿAqil*, الكشافات

[51] الذيل، مخطوطة دمشق، 80و.

وكتب [غرسُ النعمة] ابن هلال الصَّابئ ([417- 480هـ/] 1026- 1088م) تاريخًا استعان به ابن الجوزي في المنتظم[58]. وذلك في سياق ترجمته للشاعر المشهور [أبي العلاء] المعري، بما في ذلك اقتباس بعض أبياتٍ له، فضلًا عن رؤية تتعلق به رآها بعضهم في المنام عقب وفاته، وفُسِّرت على أنه يُعاقب على إلحاده.

وكان [محمد بن عبد الملك] الهمذاني ([463- 521هـ/] 1070- 1127م) بدوره مصدرًا آخر لابن الجوزي الذي استشهد به باستخدم مصطلح "المؤرخ"، "صاحب التاريخ"، تمامًا كما فعل عند الاستعانة بأعمال ثابت بن سنان، وهلال [بن المحسِّن الصَّابئ]، و[غرس النعمة] ابن هلال الصَّابئ، ولكنه لم يُشر إلى العناوين أو يسمي تلك الأعمال. وقد استمد منه [أبي الهمذاني] ابن الجوزي بعض التفاصيل عن حياة الخليفة القادر (تولى الخلافة من [381- 422هـ/] 991- 1031م)[59]، وعن حياة ابن بُرهان (المتوفى [458هـ/] 1064م)[60]. وفي الحوادث التي وقعت عام 429هـ[/1038م]. وفيما يتعلق بـ[أبي الحسن] الماوردي الفقيه المعروف[61]. وفي ترجمة [أبي القاسم] ابن المسلمة (المتوفى [450هـ/] 1058م)، وزير الخليفة، فيما يتعلق بإحدى الحوادث في بداية وزارته[62]. وفي حوادث عام 451هـ[/1059م] والمتعلقة ببعض شأن الخليفة القائم[63]، وفي حوادث عام 474هـ[/1081م] فيما يتعلق بمُسلم بن قريش[64]. كما يستعين ابن النجار بتاريخ الهمذاني مُشيرًا إلى عمله باستخدام كلمة "تاريخه"، و"كتاب التاريخ" في اثنتين من تراجمه، إحداهما ترجمة والد الهمذاني الذي توفي عام 489هـ[/1096م][65]، والأخرى للشَّمانيني النحوي المتوفى عام 422هـ[/1031م][66].

وقد اشتُهر المؤرخون الأربعة -المذكورون أعلاه- وهم: ثابت وهلال، و[غرس النعمة] ابن هلال، والهمذاني، على أنهم ذيَّلُوا على تاريخ الطبري ذلك المؤرخ المرموق. ومن الواضح أن أعمالهم لم تكن من نوع"الحوادث" فحسب، ولكنها ضمَّت التراجم أيضًا في طياتها[67]، وفي كل حالة كان ابن النجار يُشير إلى صاحب العمل على أنه "صاحب التاريخ".

أما المؤلفون الأربعة التالية أسماؤهم فقد كتبوا التاريخ بتلك الصياغة نفسها، بيد أنه تم تصنيف تواريخهم على أنها "تواريخ على السِّنين"، ووصلتنا اقتباسات من كل منها. وبعبارة أخرى، تضمنت أعمال المؤرخين الثمانية الحوليات- والتراجم تمامًا كمُنتظَم ابن الجوزي.

---

[52] نفسه، 214 و.

[53] مخطوطة باريس، 96و.

[54] نفسه، 57و.

[55] مخطوطة دمشق، 78و.

[56] مخطوطة باريس، 23 ظ.

[57] مخطوطة دمشق، 95ظ.

[58] 8: 188.

[59] ابن الجوزي، المنتظم، 7: 161

[60] نفسه، 7: 195 (سطرا: 13-14) ويُعيد الكَرَّة فيذكر المعلومات نفسها في: نفسه، 8: 237.

[61] نفسه، 8: 97-97

[62] نفسه، 8: 201، (أسطر: 1-8)

[63] نفسه، 8: 211-212.

[64] نفسه، 8: 331. وعن الهمذاني وعمله التاريخي انظر: Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 17-23

[65] مخطوطة دمشق، 2ظ.

[66] مخطوطة باريس، 95ظ.

[67] قارن. سِبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، مخطوطة باريس. Arabe 1506, sub anno 448. حيث أشار سبط ابن الجوزي إلى نهاية تاريخ هلال، وبداية استعانته بتاريخ [غرس النعمة] ابن هلال مصدرًا له.

وقد وصف ابن رجب عمل الزاغوني (المتوفى [455- 527هـ/] 1063- 1132م) بأنه "تاريخٌ على السنين" بدأه منذ خلافة المسترشد بالله، إلى وقت وفاة المؤلف[68]، أي لمدة خمسة عشر عامًا. وفي سبيل الحصول على فكرةٍ عن محتويات تاريخ الزاغوني، يمكن الإحالة إلى ابن الجوزي، الذي ينقل عنه في غضُون حوادث عام 513هـ[/1119م]، حيث يورد الزاغوني نبأ شهادة الزور التي ارتكبها قاضي القُضاة "أبو الحسن الدامغاني" ضد أخته ليستولي على مبلغ كبير من مالها، بيد أنها ربحت القضية ضده[69]. ثم يستشهد ابن الجوزي بتاريخ الزاغوني تارةً أخرى في حوادث عام 522هـ[/1128م]، حيث ذكر الزاغوني نبأ دفع نقيب نقباء الأشراف وشيخ شيوخ الصوفية مبلغًا كبيرًا من المال للسلطان السلجوقي سَنْجَر لإعفائهما من "زيارة" السلطان[70]. ثم يعود ابن الجوزي -ثالثةً- للاستشهاد بتاريخ الزاغوني في حوادث سنة 526هـ[/1132م] فيما يتعلق بأمر يخص الخليفة المسترشد، والسلطان سَنجر وآخرين[71]. أما عن التراجم من تاريخ الزاغوني فقد استعان بها ابن النجار في تراجمه فيما يتعلق بإثبات تواريخ الوفاة لمن وافتهم المنية من العلماء بين عامي 514هـ- 516هـ [1120- 1122م][72]. وقد توفي الزاغوني في 16 من محرم، وهو الشهر الأول من عام 527هـ [/1133م][73].

أما عمل صدقة بن الحسين ([477- 573هـ/] 1084- 1177م) فقد كان تاريخًا حوليًّا كما يتضح من وصف ابن النجار له:

" وقد جمع تاريخًا على السنين، بدأ فيه من وقت وفاة شيخه ابن الزاغوني، سنة سبع وعشرين وخمسمائة، مذيلًا به على تاريخ شيخه، ولم يزل يكتب فيه إلى قريب من وقت وفاته، يذكر فيه الحوادث، والوفيات"[74].

وقد استعان ابن النجار بتاريخ صَدقة[75]، وكذا فعل ابن رجب [الحنبلي] في العديد من الأخبار، أولها كان عام 527هـ [/1133م] في ترجمة الزاغوني، شيخ صدقة. وآخرها مؤرخ بعام 564هـ [/1169م]، في ترجمة ابن الدجاجي[76]. وربما استعان به أيضًا كل من ابن الجوزي[77] وابن تغري بردي[78].

وينبغي على المرء أن يُضيف إلى قائمة القفطي[79]، مؤرخًا صنَّف تاريخًا حوليًّا هو: ابن البزوري ([631- 694هـ/] 1234- 1294م)[80] الذي ذيل على تاريخ ابن الجوزي، ووصل بذيله إلى أبعد مما فعل القادسي (المتوفى [633هـ/]

---

[68] ابن رجب، ذيل، 1: 218 (4-3). قارن: Makdisi, *Ibn ʿAqil*, 24

[69] ابن الجوزي، المنتظم، 9: 206-207.

[70] نفسه، 10: 9 (أسطر 5-7).

[71] نفسه، 27، (سطر 19 وما يليه).

[72] ابن النجار، الذيل، مخطوط دمشق، ورقات: 60و-112ظ-168ظ. مخطوطة باريس ورقة 20ظ.

[73] نفسه، 32 (سطر 8 وما يليه).

[74] ابن رجب، عن ابن النجار، ذيل (تحقيق الفقي)، 1: 339 (سطر 16 وما يليه).

[75] انظر: ذيله، مخطوطة دمشق، ورقة 210و، في ترجمة أحدهم المؤرخة بعام 569هـ[/1173م] (على الرغم من اعتماد ابن النجار على وسيط ثالث دون ذكر صريح لتاريخ صدقة). وانظر أيضًا: نفسه مخطوطة باريس ورقة 137ظ، على خلفية اغتيال الخليفة المسترشد، حيث يذكر ابن النجار أنه قرأ بعض أجزاء هذا التاريخ بخط مُصنِّفه.

[76] انظر ابن رجب، ذيل، تحقيق لاوست Laoust-الدهان (دمشق، 1951)، 1: 218. وذيل (تحقيق الفقي)، 1: 182-210-230-232 (في موضعين)، 236-39/ 303.

[77] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 10: 197، حيث يدعوه "عفيف الناسخ" أي الوراق" وهو العمل الذي احترفه صَدقة طيلة حياته وسيلةً لكسب الرزق.

[78] انظر: النجوم الزاهرة، 13 مج. (القاهرة) (12-1)، 1956-1929. (13) 1970، 5: 258، حيث يستخدم تاريخ صدقة في حوادث عام 530هـ[/1136م].

[79] انظر: القفطي، تاريخ الحكماء، 110-111؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، 2مج، (استانبول، 1941-43)، 1: 290 (سطر 13 وما يليه)؛ وانظر: Makdisi, *Ibn ʿAqil*، فصل المصادر، خاصة 14 وما يليها؛ Rosenthal, *Muslim Historiography*, 72ff.

1235م). وقد كان ابن البزوري في الثانية عشرة من عمره عندما توفي القِفطي. الأمر الذي يُفسر عدم ظهوره في قائمة القفطي. وكان عمره عامًا واحدًا فقط عندما تُوفي القادسي.

وقد سبق لنا الحديث عن كتاب ابن الجوزي ([508- 597هـ]/1116- 1200م)، المسمى "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، وهو العمل التاريخي الحولي الوحيد الذي وصلنا من هذه القائمة. ومن الأمور الدالة أنه في غضون بعض السنوات، أرَّخ ابن الجوزي الحوادث على الشهور، مفصحًا بذلك عن الترتيب المتبع في اليوميات.

أما العملان التاريخيان التاليان فمن الأعمال التاريخية التي لم يذكرها القفطي أو حاجي خليفة في قائمتيهما، وهما مصدران اعتمد عليهما ابن النجار: "تاريخ الجيلي" لابن شافع الجيلي ([520- 564هـ/] 1126- 1169م) وهو تاريخٌ لم يكن مقصورًا على عصر المؤلف، وندينُ بوصفه لابن النجار الذي حفظه لنا ابن رجب [الحنبلي] في تراجمه:

"صنَّف تاريخًا على السنين، بدأ فيه بالسنة التي توفي فيها أبو بكر الخطيب، وهي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، إلى بعد الستين وخمسمائة، يذكر السنة وحوادثها، ومن تُوفي فيها، ويشرح أحوالهم. ومات ولم يبيضه. وقد نقلت عنه من هذا الكتاب كثيرًا".

ثم يضيفُ ابن رجب: "يعني ابن النجار بهذا الكتاب، تاريخه المذيل على تاريخ بغداد. قلتُ: وأنا فقد نقلت من تاريخ ابن شافع في هذا الكتاب فوائدَ مما وقع لي منه، فإنه وقع لي منه عدة أجزاء من مُنتخبه لابن نقطة"[81]. ويعتمد ابن النجار على تاريخ ابن شافع -في المجلدين اللذين وصلا إلينا من تراجم ابن النجار- في تراجم أشخاص، توفي أولهم في عام 515هـ[/1121م]، وآخرهم في عام 563هـ[/1168م][82].

كما يُعزى لأبي حفص السهروردي ([539- 632هـ/] 1145- 1234م) شيخ مشايخ الصوفية، وشيخ رباط السعادة على ضفاف نهر دجلة، تاريخٌ حولي، ويصف ابن النجار هذا العمل في ترجمة السهروردي[83] باعتباره تاريخًا حوليًّا (أي تاريخًا على السنين) سماه مُصنفه "المجاهدي" وقدمه هديةً إلى مجاهد الدين بهروز (المتوفى [540هـ/] 1145م) مؤسس ذلك الرباط[84]. ويبدأ السهروردي تاريخه منذ بداية الخلق وفقًا لابن النجار، وينتهي بحوادث عام 524هـ [/1130م][85]، أي قبل ثماني سنوات من وفاة المؤلف[86]. إذن فالتأريخ على السنين لم يكن مادة يومياتٍ فحسب، ولم يقتصر بالضرورة على عصر المؤلف، كما كان الحال مع عمل الزاغوني.

وتُشير طبيعة الأعمال الحولية السابقة إلى أن الأعمال التاريخية، سواء أكانت يوميات أم"تاريخًا على السنين" كانت تتضمن الحوادث جنبًا إلى جنب مع التراجم. ولم يُضف بعض المؤرخين -كالطبري على سبيل المثال- قسمًا ثانيًا مُنفصلًا لحوادث العام يختص بالوفيات، ولكن ابتداءً من ثابت بن سنان -على الأقل- بدأت مثل هذه التواريخ الحولية بقسميها تُكْتَبُ بوصفها امتدادًا لليوميات. وتشتمل يوميات ابن البناء ومثيلاتها على الوفيات حسب وقوعها في التسلسل الزمني *Chronology* الشهري للحوادث. ومن ناحية أخرى فإن الأعمال التاريخية المصنفة "تأريخًا على السنين" كالمنتظم

---

[80] عن ابن البزوري انظر: السَّخاوي، الإعلان. في ترجمة روزنثال *Muslim Historiography*, 412 and n.4، وانظر أيضًا النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، 2مج. (دمشق1948-1951)، 2: 227؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 مج. (القاهرة، 1931)، 5: 427.

[81] ابن رجب، ذيل (تحقيق الفقي)، 1: 312، (سطر 9 وما يليه).

[82] ابن النجار، ذيل، مخطوطة دمشق، ورقات 12و-22و-126و (515هـ)؛ 155ظ؛ مخطوطة باريس ورقات، 6و-21و، 43ظ-66ظ-97و (563هـ). وانظر أيضًا: ابن رجب، ذيل (تحقيق الفقي)، 1: 302. بينما آخر استشهاد بعمل ابن شافع في ترجمة أحدهم الذي توفي عام 563هـ [/1168م].

[83] السهروردي هذا هو عم أبو النجيب السهروردي (المتوفى [563هـ/] 1150م).

[84] عن بهروز انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 10: 117، وعن وفاته فهو قد دفن في الرباط الذي أنشأه في بغداد.

[85] كذا في الأصل! والصواب 624هـ. [المترجم].

[86] ابن النجار، ذيل، مخطوطة باريس، ورقة 119 وجه/ظهر.

لابن الجوزي، كانت تُفرد الحوادث في القسم الأول، والوفيات في القسم الثاني من حوادث كل سنة. والسمات المذكورة آنفًا لأعمال ابن شافع وصدقة [ابن الحسين] تُشير بوضوح إلى أن مؤلفيها حرصوا على ذكر الحوادث، فضلًا عن الوفيات. وعلى الرغم من أن فقدها لا يسمح لنا أن نمضي في الاستنتاج قُدمًا إلى حدِّ المغامرة بالقول إن مُصنفيها حذوا حذو ابن الجوزي في المنتظم ففصلوا الحوادث عن الوفيات في قسمين مستقلين، فمن الوارد جدا أنهم فعلوا هذا، فطبَّقوا فيها النهجَ نفسه المتبع في "المنتظَم".

وفي مواضع أخر سأنشر قائمةً بمصادر ابن النجار باعتبارها موادَّ لدراسة اليوميات وعلاقتها بالأشكال الأخرى من الكتابة التاريخية، خصوصًا التراجم والحوليات. وسأحرصُ على تزويدها بالتفاصيل الوافية التي تهم المتخصصين في الإسلاميات. وتستندُ تلك القائمة على قراءتي للمجلدين اللذين وصلا إلينا من تراجم ابن النجار الضخمة، وأحدهما محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس *Bibliotheque Nationale of Paris* (*Fonds arabe 2131*)، والآخر في المكتبة الوطنية في دمشق (برقم 42 تاريخ). وكلتا المخطوطتين تتألف من عدة مئات من اللوحات، وتشكل جزءًا واحدًا فحسب من حرف واحد من ثمانية وعشرين حرفًا من أحرف الهجاء العربية.

وقد أسفرت قراءتي عن جمع 86 اقتباسًا من "اليوميات" التي صنَّفها 35 كاتبًا من كُتَّاب اليوميات. وهؤلاء الكتّاب لا يمثلون إلا أولئك الذين استطعت تحديد شخصياتهم، وقد أثبتُّ تواريخهم جنبًا إلى جنب مع تواريخ وفيَات المترجم لهم الذين عاصروهم.

الخاتمة

تُشير الحقائق التي وردت في الصفحات السَّابقة إلى أن تصنيف اليوميات تزامن -على الأقل- مع تصنيف الحوليات والتراجم. فكانت أداةً لا غِنى عنها لعلماء الجرح والتعديل، إذ تعود اليوميات على الأقل إلى القرن [الثالث الهجري/] التاسع الميلادي. وربما يعود ظهورها إلى القرن [الثاني الهجري/] الثامن الميلادي، على يد المؤرخ الحولي الهيثم بن عدي ([130- 206هـ/] 747- 821م) الذي استعملها مصدرًا للكتابة التاريخية الحولية.

وقد تطورت الكتابة التاريخية الإسلامية إلى حدٍّ كبيرٍ بوصفها علمًا مساعدًا للعلوم الدينية، وللفنون الأدبية، تمييزًا لها عن العلوم المستمدة من الإغريق التي عرفت باسم "العلوم الأجنبية". وهكذا تطورت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام أعدادٌ كبيرة من كُتب التراجم التي عالجت سِير رُواة الحديث والفقهاء والقُراء، والمتصوفة، جنبًا إلى جنب مع سير العُلماء في المجالات الأدبية المساعدة، كالنُّحاة والشعراء، ...الخ، وصولًا إلى هؤلاء الأكثر تواضُعًا من جهة الحجم والتمثيل، فظهرت كُتبُ التراجمِ لهؤلاء المتخصصين في"العلوم الأجنبية" والحقول المتعلقة بها، كتلك التي ترجمت للفلاسِفة والأطباء أو الحكماء.

وتطلَّب نقدُ الحديث الذي تركز أساسًا على سِلسلة الرواة، إنتاج كتب التراجم، جنبًا إلى جنب مع اليوميات، التي مثلت مُستودعًا لتلك المواد التي شكَّلت جوهر مادة كتب التراجم والتواريخ الحولية مُذابةً معًا في مزيج واحد. والاتجاه إلى التأريخ الحولي -وكان منذ بواكيره مزيجًا من الحوليات والتراجم- تطور من صيغة غَلب عليها الطابع الحولي في الكتابة التاريخية (كتلك الكتابات التاريخية عند الطبري وابن الأثير من بعده) إلى صيغةٍ غَلب عليها الترجمة مثل كتابات الذَّهبي ([673- 748هـ/] 1274- 1348م) وابن العماد [الحنبلي] ([1032- 1089هـ/] 1622- 1679م). وفي هذا دلالةٌ على الاتجاه نحو التقليدية *Traditionalism*.

وقد استُخدم مصطلح "التاريخ" في الكتابة التاريخية الإسلامية علمًا على اليوميات والتراجم وأنواع الحوليات في التصنيف التاريخي. وكان التمييز بين نوع وآخر يتم بتحديد المقصُود من مصطلح "التأريخ". وقد استخدمت مُصطلحات أخرى غير تلك التي سبق ذكرها للإشارة إلى كتب التراجم مثل "الطبقات" (وهي فئات من العلماء في مجال ما من

المجالات المختلفة) والوفيات (أي تواريخ الوفاة، وهي تراجم سعى الكاتب فيها إلى تحديد تواريخ الوفاة لمن ترجم لهم) وقد تم ترتيب كتب التراجم هذه وفقًا لسنوات الوفاة، أو وفقًا للأسماء الأولى للمُترجم لهم، أو وفقا لألقابهم. أو كانت أعمالًا أُفردت لأعلام قرن بعينه (*Centennials*) تلك الظاهرة التي بدأت من القرن [السابع الهجري/] الثالث عشر الميلادي على يد أبي شامة ([599- 665هـ/] 1203- 1268م]) واستمرت إلى القرن [الرابع عشر الهجري/] العشرين الميلادي.

ومع ذلك فقد كان هناك مُحدِّدٌ واحد لمصطلح التأريخ قد سبق ذكره، وهو الذي استخدم لتمييز التصنيف التاريخي، ليس من حيث المحتوى، ولكن بالأحرى من حيث الوحدة الزمنية الأساسية التي استخدمت لتسجيل الحوادث، فالتأريخ كان يعني -ضمن أشكال أخرى من الكتابة التاريخية- تسجيل الحوادث طبقًا لأيام الشهر؛ فهو -على وجه التقريب- تسجيلٌ يومي للحوادث. وتحديد "التأريخ" بإضافة عبارة "على السِّنين" كان يعني -على النقيض من ذلك- تسجيل الحوادث على أساس سنوي. وكتابة "تأريخ على السنين" كان أمرًا بسيطًا، يقتضي تحويل اليوميات إلى تأريخ حولي، فلم يكن على المرء إلا أن يُعيد ترتيب "الحوادث" و"الوفيات" من التسلسل الزمني الشهري ***monthly chronology*** إلى التسلسل الزمني السنوي ***annual chronology*** مع تقسيمها إلى قسمين. وكان تحديد مصطلح "التأريخ" على أنه "تأريخ على السنين" تعبيرًا جديدًا تم اعتماده للتمييز بين هذا النمط من الكتابة التاريخية وبين التاريخ بمفهومه المألوف، حيث كانت الوحدة الزمنية الأساسية فيه هي الشهر القمري الذي حددته رُؤية الهلال الجديد.

وربما يكون أقدم تاريخ حولي قد قسِّم إلى قسمين متميزين، وربما لا يكون كذلك. بيد أنه كي يصبح التأريخ حوليًّا كان لابد أن يكون متميزًا عن ذلك التاريخ الذي يقوم على أساس التسلسل الزمني الشهري ***monthly chronology***. وربما يندرجُ تاريخ الهيثم بن عدي (المتوفى [206هـ/] 821م) تحت هذا النمط من التأريخ. وذلك قبل أن يكتب الطبري (المتوفى [310هـ/] 923م) تاريخه بوقت طويل.

ومثَّلت اليوميات التاريخية في الإسلام سجلَّاتٍ للاستخدام الشخصي فحسب، فكانت سجلًّا مؤرخًّا للمعلومات التي احتفظ بها المؤلف لاستخدامها في تصانيفه التاريخية الأخرى. فاليوميات التاريخية -شأنها شأن مذكراتنا اليومية الحالية- لم تكن للنشر. وهذا -على الأقل- استنتاج مبدئي يصل إليه المرء عندما يرى أن ما وصلنا من اليوميات التي استخدمها ابن النجار ليس إلا نموذجًا واحدًا. فقد وصلتنا شذرة يسيرة من هذه اليوميات، هي يوميات ابن البناء. وظلت لوحاتها الست عشرة التي تغطي ما يزيد قليلًا عن العام من مجمل فترة زمنية قد تصل إلى حوالي أربعين عامًا في شكل مُسوَّدة. ويزداد هذا الاستنتاج قوةً عندما نرى أن يوميات ابن البناء خدمت مؤلفها بوصفها سجلًّا تاريخيًّا استخدمه في مُصنفاته الأخرى. وقد كُتبت اليوميات نفسها على نحو يُوحي أن المؤلف أراد بها ألا يقرأها أحدٌ غيره. وقد سجل أمورًا قصد بها أن تكون خاصة بأعضاء جماعته الاجتماعية-الدينية فحسب، لا بأعضاءٍ من ذوي الانتماءات الأُخرى. وكان يكتب في الغالب دون استخدام علامات الضبط بالشَّكل أو الإعجام التي تُساعد على التمييز بين الحروف الهجائية. بل إن الكلمات فقدت في الغالب بعض حروفها بسبب التداخل فيما بينها عندما تحركت يد كاتبها في عجلة عبر الصفحة.